على هامش أسبوع البر :

الخدمة الاجتماعية
لا تزال بكرا فى كل ميدان

سأل أحد مندوبى الصحف حرم رفعة رئيس الوزراء عن المشروع الذى تنوى أن توجه إليه المبالغ المجموعة من أسبوع البر ، فأجابت بأن هذا يتوقف على مدى التبرعات وعلى قيمة ما يجتمع فى النهاية ، فالمبلغ الذى يصلح لمشروع قد لا يصلح لمشروع آخر .

وقد خطر لى بعد ما علمت أن مجموع التبرعات قد وصل إلى نحو مائة ألف من الجنيهات أن أفكر فى أهم مشروع يمكن أن توجه إليه هذه المبالغ .

وما كدت أعرض المسألة هذا العرض حتى تفتحت أمام عينى ميادين الخدمة الاجتماعية فى هذا الوطن المحتاج وكلها لا يزال بكرا لم تمسسه يد أو مسته مسا خفيفا لا يعد شيئا بالقياس إلى ما يجب أن يكون أى مشروع هو أولى وأجدر من سواه : مراكز رعاية الطفل ؟ دور كفالة الأطفال المشردين ؟ مساعدة و إطعام الأسر الفقيرة ؟ تغذية العمال ؟ . . . . عشرات من أمثال هذه العنوانات ؟

كل مشروع هو أولى بالتقديم ، لأن الحاجة ماسة إليه فى الصميم ! وذلك مقياس الموجود والمطلوب من الخدمات الاجتماعية المنتشرة فى جميع البلاد المتحضرة . فلنقل كلمة سريعة عن بعض هذه الخدمات : .

مراكز رعاية الطفل :

لكل طفل الحق فى أبوين صحيحين ! ولكل طفل الحق فى الحياة . ولكل طفل الحق فى العناية الواجبة ولاسيما فى أيام طفولته الأولى التى لا يستطيع فيها الاهتمام بنفسه .

هذه مبادئ مقررة فى جميع بلاد العالم المتحضر ، قررتها هذه البلاد بعد أن تنبهت إلى أن الطفولة ثروة أنفس من ثروة المال ، لأنها منبع الرجال والنساء الذين ينتجون ثروة المال وذلك بغض النظر عن المبادئ الإنسانية التى توحى بهذه المبادئ فى رعاية شؤون الطفولة .

ولتحقيق المبدأ الأول شرعت قوانين السلامة الجسدية والعصبية فيمن يعتزمون الزواج. هذه القوانين التى دار الحديث عنها منذ عام ثم أسدل عليها الستار ، شأنها شأن كثير من المشروعات التى تطوى لمجرد تغير الهيئة الحاكمة ، كأن مصالح الوطن الرئيسية تختلف فى عهد عن عهد ، وتتبدل بتبدل الهيئات !

وانحقيق المبدأين الثانى والثالث أنشئت مراكز رعاية الطفل ، ولم تقصر وظيفتها على العناية بالطفل عند الولادة ومدة الرضاعة ، بل شملت العناية بصحة الأم الحامل تنفيذا للمبدإ الأول كذلك .

ومما لا شك فيه أن هذه المراكز تقوم بوظيفة إنسانية رفيعة ، وهى فى الوقت ذاته شديدة الأهمية ولا سيما فى بلد كمصر يجتمع فيه الفقر والجهل حليفين قويين ضد الطفولة ، فالفقر يعجز الملايين عن العناية بصحة الأمهات وصحة المواليد ، ويعرض الأم والجنين لأمراض التغذية وللأمراض الميكروبية التى يساعد الضعف على تغلغلها . والجهل يساعد الفقر فى إهمال كل عناية صحية بالحامل والوليد .

ونسبة وفيات الأطفال عندنا نسبة مروعة نتيجة لهذين العدوين الجبارين ، وقد أوردت لجنة المالية بمجلس الشيوخ إحصائيتين خطيرتين عن وفيات الرضع ووفيات الأطفال فى مصر وفى البلدان الأخرى نكتفى بتسجيلهما هنا للدلالة على حاجتنا الملحة أكثر من أى بلد آخر لمضاعفة مراكز رعاية الطفل فى جميع أنحاء البلاد ، قبل أن نرفع رءوسنا أمام العالم المتمدن وقبل أن نزعم أننا متحضرون ، وأننا نعيش فى القرن العشرين !

وهاتان هما الإحصائيتان الرهيبتان :

نسبة وفيات الأطفال فى بعض الممالك فى كل ألف نسمة :

المملكة	سنة ١٩٣٥	سنة ١٩٣٦	سنة ١٩٣٧	سنة ١٩٣٨
هولندا	٤٠	٣٩	٣٨	٣٦
ألمانيا	٦٣	٦٦	٦٤	٦٠
النمسا	٩٩	٨٣	٨٥	٨٥
بلجيكا	٧٧	٧٥	٨٠	٧٥
بلغاريا	١٥٤	١٤٤	١٥٦	١٤٤
مالطة	٢٨٨	١٠٥	٢٤١	٢٢٥
إيطاليا	١٥١	١٠٠	١٠٠	—
رومانيا	١٥٢	١٧٥	١٧٨	١٨٣
الهند	١٦٤	١٦٣	١٦٢	—
مصر	١٦١	١٦٤	١٦٥	—
شيلى	١٥٢	٢٥٢	٢٤١	٢٣٦
انجلترا وويلز	٥٧	٥٠	٥٨	٥٢
اليابان	١٠٧	١١٧	١٠٦	—

نسبة وفيات الرضع فى مصر وغيرها سنة ١٩٣٧ :

المملكة	النسبة فى كل ألف من السكان	المملكة	النسبة فى كل الف من السكان
مصر	٢٦٥	النمسا	٨٩
الهند	١٦٢	بلجيكا	٨٠
بلغاريا	١٥٠	ألمانيا	٦٤
إيطاليا	١٠٩	انكلترا	٥٨
اليابان	١٠٦	هولندا	٣٨

دور كفالة الأطفال المشردين :

قلنا إنه أصبح من المبادئ المقررة أن لكل طفل الحق فى الحياة والحق فى العناية بشأنه ، ونظرة إلى طرقات القاهرة وأزقتها وأفاريز طرقاتها تكفى للدلالة على المدى السحيق بيننا و بين تنفيذ هذه المبادئ الإنسانية. ففى كل مكان نجد الطفولة المشردة أشكالا وألوانا ، وكلها تلتقى فى طابع البؤس ، ومظهر الرثاثة ، وأمارات المرض والهزال ، وروح الحذر والتلصص .

هذه الطفولة المشردة كنوز مبعثرة نسرف فيها إسراف السفيه الذى لايجد من يحجر عليه وهو يبعثر ذخائره ذات اليمين وذات الشمال بلا حساب . وبدلا من أن نكون من هذه اللبنات الصغيرة أركانا فى بناء المجتمع نحولهم إلى مرضى وذوى عاهات ، ولصوص ونشالين وسماسرة أعراض و"بلطجية" إلى آخر القائمة التى يتعب المسئولون أنفسهم ويتعبون البوليس والخزانة العامة فى اتقاء شرورها وتتبع جرائمها . والتى يلقى منها المجتمع شر ما يلقاه مسرف سفيه يبعثر كنوزه بلا حساب ، ويستبدل من الأزهار والثمرات الشهيه أشواكا وثمارا مرة

وفى مصر هيئات محدودة الموارد تحاول القيام بشىء فى ميدان هذه المعركة ، تحاول أن تسترد شيئا من هذه الكنوز الضائعة ، وأن تصلح شيئا مما أفسدته يد الفقر والمرض والجريمة والإهمال والقسوة والأثرة . ولكن هيهات أن تستطيع شيئا هاما ، وهذه مواردها ضيقة ضئيلة ، وتلك جهودها محدودة قليلة .

وقبل أن يسير السائر فى طرقات المدائن والقرى فلا يرى هـــذه الوجوه الذابلة وتلك الأجسام الهزيلة وهـذه العيون المتلصصة وتلك الخطوات المذعورة . قبل هـذا يجب أن لا نزعم أننا متحضرون وأننا نعيش فى القرن العشرين .

مساعدة وإطعام الأسر الفقيرة :

لكل آدمى الحق فى أن يأكل ويشرب ليعيش . هـذا مبدأ تقرره الإنسانية فى جميع العصور وتقرره المبادئ الاجتماعية الحديثة بعضها بالبداهة وبعضها عن طريق القانون . " فالجوع محظور على الدامركيين" هذه مادة أساسية فى دستور الدانمركه !

وفى مصر عائلات فقيرة تجوع ، تجوع أياما كثيرة فى السنة جوعا حقيقيا ، وتجوع كل أيام السنة من ناحية عدم كفاية الغذاء وعدم توافر المواد الضرورية فيه . وبجانبها عائلات أخرى قليلة نسبيا تأكل حتى تتخم وتضطر إلى المسهلات وأدوية التخمة معظم أيام السنة كذلك !

وقد قامت فى مصر جماعة بإشراف وزارة الشؤون الاجتماعية لمساعدة وإطعام الأسر الفقيرة . وبدأت تجربتها فى ثلاثة أحياء بالقاهرة ، وكانت التجربة الأولى مشجعة فجمعت مايكفى العائلات الفقيرة المقصودة من هذه التجربة شهرا كاملا .

بدأت هـذه الجماعة عملها بالنشاط المعهود فى بدء كل عمل مصرى وبالضجة المعروفة حول كل عمل ، وأخشى أن يكون فتور الصيف سببا فى فتور دائم ، وعملها ضرورى كل الضرورة فى مثل ظروفنا الحاضرة .

إن الإحسان المباشر عمل لا ترتضيه القواعد الاجتماعية الحديثة لما فيه من غضاضة على كرامة المحسن إليهم ، وما فيه من شعور بالتفضل من المحسنين . ولكننا فى مرحلة بدائية من مراحل الخدمة الاجتماعية فيجب الانحجم عن سلوك أى طريق نوفر به للعوزين بعض الضروريات . وطريق هذه الجماعة طريق خير فلا يصح أن نقف عن متابعة الخطو فيه .

وهى تجربة قد نجحت فينبغى تعميمها فى جميع أحياء القاهرة — إن لم نقل فى كل مدينة وقرية — وهذه التجربة هى مقياس لما فى نفوس الشعب من مروءة ونجدة . ونحن فى حاجة أن نقيس هذا الرصيد بين آن وآخر ، وأن نحرك هذه العاطفة فى النفوس تحريكا مستمرا ، مادمنا لا نجد الشجاعة الكافية لفرض هذه التكاليف فرضا على القادرين !

وقبل أن تصل الخدمات الاجتماعية إلى كل بيت من البيوت المحتاجة إلى المساعدة والغذاء ، يجب ألا نزعم أننا متحضرون ، وأننا نعيش فى القرن العشرين !

تغذية العمال :

فى انجلترا حيث يبلغ دخل العامل ثلاثة أضعاف دخل العامل المصرى على الأقل وجدوا أنفسهم بعد الغلاء مضطرين إلى مساعدة العمال مساعدة مباشرة بالطعام ، فاتخذت هيئات الخدمة الاجتماعية الإجراءات الآتية :

١ — فتح مطاعم متنقلة يتناول فيها العمال غذاءهم بثمن قليل .

٢ — تقديم وجبة طعام مجانية لفقراء العمال.

٣ — توفير اللبن للمرضى والناقهين والأطفال فى أحياء الطبقات العاملة بالمجان .

هذا فى انجلترا ، أما فى مصر فأمراض التغذية تهد قوى العمال ، وتحرم البلاد نصف مجهودهم ونصف إنتاجهم ، وتعجل بعجزهم عن العمل حيث لايجدون لهم ملجأ ، وتسرع بهم إلى القبور حيث يخلفون وراءهم أرامل ويتامى يتعرضون للشرور الاجتماعية وللسقوط والشرور .

ولم توجد إلى اليوم هيئة أو جماعة تعنى بغذاء العمال . ولو وجدت هذه الجماعة لوجدت يدها بعد قليل مشلولة لقلة المال ؛ لأن النفوس لم تتفتح بعد للعطف الإنسانى ، ولا للواجب الاجتماعى .

يجب أن يجد كل عامل غذاءه الضرورى بثمن مناسب أو بالمجان عند العجز عن هذا الثمن . وقبل ذلك يجب ألا نزعم أننا متحضرون وأننا نعيش فى القرن العشرين !